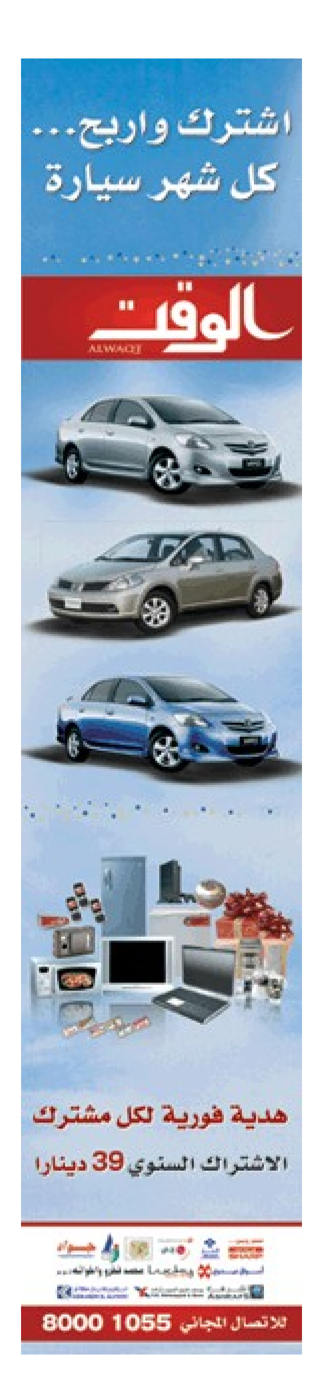
[اغلاق]



[اغلاق]

10



آخر الأخبار »

»إشراقات

ع ع ع

الدكتور إبراهيم عوض في حوار مع «الوقت» ــ (1-

دفاعاً عن رسول الإسلام.. ومقارنات القرآن والعهدين

- نادر المتروك:

عُرف عن إبراهيم عوض، أستاذ النقد في جامعة عين شمس، شدة دفاعه المستميت عن الإسلام ورسوله الكريم، وله في العديد من الكتب والكتابات التي تنتقد كلّ ما يعتبره مناهضاً للإسلام ولقيمه وللقرآن الكريم، وقد كتب بحثا مطولا في الرد على رؤية المفكر محمد أركون حول النص القرآني، وأصدر أكثر من كتاب في إثبات الإعجاز القرآني البياني. ينفتح الحوار مع عوض على أكثر من اتجاه، فهو بارع في إدارة اللغة وربط القضايا المتداخلة. في هذا الحوار يدلف الكلام حول القرآن وسرّ إعجازه، ويصل إلى إثارة الأبعاد التي تميّز بها القرآن والإسلام ورسوله الذي كوّن جماعة حرصت على العمل والعلم واعتبارهما عبادة، مقارناً في ذلك مع ما ورد في العهدين القديم والجديد. وفيما يلي الجزء الأول من الحوار:

؟ ما هو البعد أو الأبعاد التي تؤهل نصًّا لغويًّا ليحظى بهذه المحورية كما هو حال القرآن الكريم؟

القرآن ليس كتابا عاديا كأي كتاب، بل هو كتاب سماوي أُنْزِل ليكون نبراسا للبشر جميعا ولينجح في تغيير مسيرة الحضارة البشرية وليبقى في لغته الأصلية سليما من دون أي تحريف أو تزوير. كذلك وقع التحدي به ولم يستطع بشر حتى الآن أن يخرج لنا كتابا مثله في تأثيره وتسلطه على النفوس والعقول وإنجازاته العجيبة التي أنجزها وما زال ينجزها إلى وقتنا هذا رغم كل الهوان الذي يسربل حياة المسلمين، وعلى رغم الهجوم الضاري عليه من كل ناحية، وخصوصاً من قِبَل الغرب المتقدم القويّ الذي يحسب أن من حقه التحكم في مصير الإنسانية وتدمير القرآن والإسلام كله وسَوْق المسلمين بالعصا أمامه كما تساق الأنعام إلى مصيرها الوبيل.

كتاب ورسول غير عاديين

؟ ولكن دكتور.. أين تكمن غير العادية فيه؟

هو ليس كتابا عاديا لا في أسلوبه ولا في القيم التي يبشّر بها، ولا فيما حققه في ميادين التاريخ والجغرافيا والأنظمة الاجتماعية والسياسية والأوضاع الثقافية.. وهو أيضا ليس كتابا عاديًّا من جهة الرسول الذي حمله إلى الناس. إنه (ع) يأتي على رأس قائمة الأنبياء على رغم احترامنا التام لهم جميعا، لكن من المعروف أن الدنيا قائمة على التراتبية، ورسولنا يَقْدُم إخوانه الأنبياء والمرسلين كلهم. وهذا واضح في إنجازاته المتمثلة أوّلاً وقبل كل شيء في تربية الجيل الأول من المسلمين، ذلك الجيل الذي إذا ما قارنته بأية جماعة رباها أي نبي من الأنبياء فسوف تدرك ما أقصد. كما أنه واضح أيضا في التغييرات التى أحدثها دينه في تاريخ البشرية ومسيرتها الحضارية حتى قبل أن يفارق (ع) دنيانا هذه ويلحق بالرفيق الأعلى، لدرجة أنه في غضون بضعة عقود قليلة تحوّل العرب

من أمة من الهَمَل إلى أمةٍ سيّدةٍ تحكم العالم وتقوده وتفرض عليه لغتها ودينها، لا بسبيل الإكراه بل بقوة شخصيتها وصلابة وتضحياتها والمثل الكريمة التى ضربتها لكل من عنده عين ترى وأذن تسمع وعقل يفكر ويقارن بين حكمهم وحكم غيرهم ومنهجهم ومنهج غيرهم على رغم أننا لا نخليهم من بوصفهم بشرا.

مقارنة مسلمي اليوم بالأمس

؟ ولكن قد ينظر البعض إلى أن هذا الكلام مجرّد إدعاء بلا دليل!

ليس مطلوبا هنا من أي شخص إلا أن يقف قليلا ويقارن بين عرب اليوم، بل مسلمو اليوم جميعا بمليارهم ونصف المليار، وبكل ما تحت أيديهم من إمكانات بشرية وثقافية واقتصادية وإدارية واختصاصيين في كل المجالات مما لم يكن للعرب منه في عصر الرسول ولا ’’فِيمْتُو’’ واحد، وبين مسلمي الجيل الأول على رغم تدني الإمكانات التي كانت متاحة لهم، بل على رغم انعدامها تقريبا، ثم قارن أيضا بين هوانهم الآن وذلتهم وانسحاقهم وتقبيلهم مواطئ أقدام الغرب لعله يرضى ولن وبين العزة والكرامة والثقة بالله والنفس والاطمئنان إلى المستقبل وإلى النصر لدى مسلمي الجيل الأول الذي ربّاه رسول الله بإمكانات لا تزيد تقريبا عن الصفر كما قلت، وعندئذ ترى مصداق ما أقول عن القرآن والرسول الذي حمل إلينا هذا القرآن وتعرف أنه ليس كتابا عاديًّا أبدا.

مقارنة مع العهدين القديم والجديد

؟ هل يمكن عقد مقارنة في هذا المجال مع العهدين القديم والجديد؟

نعم؛ نستطيع أن نرجع إلى العهد القديم والعهد الجديد لنرى كيف كان أصحاب موسى أو عيسى يتصرفون مع نبيهم على رغم المعجزات التي كان يصنعها لهم بإذن من ربه، حيث نرى أن أصحاب موسى كانوا دائمي الشغب عليه، والعصيان له في أبسط الأمور، حتى في صلب العقيدة، حتى إنه حين تركهم مثلا ومضى لميقات ربه فوق الجبل وعاد؛ فوجئ بصنعهم العجل وعبادتهم له وانتقاضهم على هارون ومحاولتهم أن يقتلوه عندما أراد أن يصدهم عن هذا الكفر. وحين طلب منهم أن يدخلوا معه إلى الأرض المقدسة انفضوا عنه وقالوا له ’’اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون’’. أما حواريو عيسى فقد تركوه عند مجيء الخطر وأسلموه لأعدائه وهربوا جميعا وأنكروه حسبما هو مكتوب في الأناجيل ذاتها، وإنْ كنا نحن المسلمين لا نؤمن بأن أعداءه قد نالوا منه أي منال. كما أنك تفاجأ بالشتائم التي كان عيسى يوجهها لهؤلاء الحواريين وكبيرهم بطرس واتهاماته إياه بقلة الإيمان بل عدمه. كذلك تبحث وقت الخطر عن المستضعفين الذين كثيرا ما قام عيسى (ع) بالمعجزات ليخففّ عنهم متاعبهم وأمراضهم المستعصية؛ فإذا بهم ’’فَصّ مِلْح وذاب’’ كما نقول في مصر، وكأنه لم يَنْحَزْ لهم ويعمل كل ما في طَوْقه لتخفيف الكرب عنهم.

صحابة الرسول «ص»

وكيف كان تصرّف صحابة الرسول معه؟

كان تصرف صحابة الرسول محمد (ع) على العكس من ذلك؛ كما في بدر مثلا، وكذلك في أُحُد، حيث فَدَوْه بأنفسهم وشكّلوا ستارا حوله حَمَى رسول الله من الموت الذي كان يريد المشركون إيقاعه به آنذاك. وفى غزوة الطائف تبعثر عقد

الصحابة من حول رسول الله إثر المباغتة العنيفة التي تعرّض جيش المسلمين لها، لكنهم ما إن سمعوه (ص) يناديهم وينبّههم إلى وجوده وثباته حتى رجعوا فورا إلى مواقعهم وأبلَوْا أعظم البلاء وأحرزوا النصر على الوثنية النجسة. ومعروف ما فعله بأنفسهم أولئك الثلاثة في غزوة مؤتة الذين غلبهم الضعف البشرى ذات مرة إلى أن تاب الله عليهم.

؟ ولكي لا نقع في أي إشكال خطابي.. ما الذي يمكن استفادته ذلك؟

هذا يعطيك صورة للفرق بين تربية وتربية، وبين تأثير كتاب وتأثير كتاب آخر. بل إنك لا تجد في أي من العهدين اللذين يشكلان ما يسمَّى بــ’’الكتاب المقدس‘‘؛ دعوة إلى العمل ولا إلى العلم ولا إلى النظام ولا إلى النظافة ولا إلى المحافظة على البيئة ولا إلى تغيير أي نظام اجتماعي أو ثقافي.. خذ مثلا عيسى (ع) كما تحكي لنا الأناجيل قصته هو وأتباعه وكيف أنه كلما آمن به أحد طلب منه أن يتبعه ويترك أسرته وعمله. ومن ثم كانوا إذا جاعوا لم يكن لهم إلا طريقان حسبما تروى لنا كتب سيرته: إما أن يقوم هو بتوفير الطعام لهم على نحو إعجازي، ونحن نعرف أن المجتمعات والحضارات لا تقوم على المعجزات، بل على العلم الجاد والإنتاج والإبداع والإتقان والتنظيم وتعاون التخصصات المختلفة، وإلا كان على الرسول أن يبقى مع قومه إلى الأبد جيلا بعد جيل لا يموت ولا يتركهم طرفة عين، وذلك كي يصنع لهم المعجزات كلما احتاجوها، ولسوف يحتاجونها يقينا بهذه الطريقة في كل خطوة ما داموا يعيشون في بلادة واستكانة انتظارا لما تسفر عنه المعجزة، وإما أن يهجموا على أول حقل يقابلهم في الطريق ويقتحموه ويأتوا على ما فيه من دون إذن صاحبه كما نقرأ في الأناجيل.

النظافة في الإسلام والعهدين

؟ وكيف هو حضور قيمة النظافة في العهدين القديم والجديد؟

إنك لو ذهبت فأنفقت عمرك كله في البحث عن قيمة النظافة في العهدين القديم والجديد فلسوف تصاب بخيبة أمل؛ لأنك لن تجد من الكتاب الأول أي اهتمام بهذه المسألة، أما في الثاني فستجد أن عيسى طبقا لما ذكروه هم بأقلامهم كان النظافة ويعيب على اليهود المتنطسين بشأنها. وكان بالإمكان أن يعيب عليهم حرصهم على الشكليات مع عدم الاهتمام الكافي بالجوهر، إلا أنه عاب النظافة قولا واحدا، وهذا غريب. لكنك في الإسلام تجد شيئا آخر، وهو أن ‘‘النظافة من الإيمان’’. أي أنها ليست أمرا مدنيا فقط، بل واجب ديني من صميم الإيمان كما قال الرسول الأعظم. وهذا كله فضلا عن أن النبيين الكريمين إنما أتيا لبني إسرائيل وحدهم ولمواجهة عيوب خلقية وعقيدية معينة، ثم ينتهي دور دينهما ويبدأ دور الإسلام بعد مجيء النبي محمد (ع) لأن الإسلام هو الدين العالمي الوحيد.

صورة الله والأنبياء في العهدين

عن صورة الله تعالى والأنبياء في العهدين؟

وحتى في هذين المجالين نجد العجب الذي لا يمكن العقل قبوله، إذ إن صورة الله والأنبياء فيهما تبعث على النفور، فالله ليس سوى إله خاص ببني إسرائيل وحدهم، وهو يتصرف كما يتصرف البشر ويعتريه ما يعتري البشر من عيوب ونقائص، أما الأنبياء فما من واحد منهم إلا وقد لوّث الكتابُ المقدسُ

شخصيتّه، فهم قتلة زناة يمارسون الجنس مع المحارم ويتآمرون على عباد الله المخلصين ويكذبون ويسكرون ويعبدون الأصنام ويصنعونها ويصارعون الله ذراعا بذراع ويتطاولون عليه ولا يَرْعَوْن له وقارا وينوحون ويجدّفون في حقه سبحانه ويكتبون قصائد العشق والغرام الشهواني الجارح! فأين هذا كله؟ وما هو إلا قطرة من بحر، إزاء القرآن المجيد.

شهادات مستشرقين

؟ أشير إلى أنك نشرت أموراً حول ذلك في كتابك ‘‘نصوص استشراقية انجليزية’’ وأيضاً في كتبٍ أخرى.

نعم، فقد ترجمت مقالين رائعين ونشرتُهما في كتاب صدر لي حديثاً بعنوان ‘‘نصوص استشراقية انجليزية’’، تتحدث في أحدهما صحفية وأنثروبولوجية هولندية عن الريادة المحمدية لمفهوم الحفاظ على البيئة قبل أن يتنبّه العالم كله لهذه القضية بقرون وقرون كما تقول. أما الثاني فيرد فيه كاتب غربي على نظيرٍ له يزعم أن الإسلام دين إرهابي يقوم على العنف والقتل، مبينا له وللقراء بالإحصاءات أن المسلمين على رغم كل ما يمكن أن يُتَّهَموا به لم يرتكبوا طوال تاريخهم كله حتى وقتنا هذا إلا كَسْرًا صغيرا مما اقترفه الغرب المتشامخ بتسامحه الزائف والمتباهي بحبه الكاذب للسلام.

؟ إذا عدنا إلى النص القرآني وسرّ تأثيره. ما هي أهم الكتب التي بحثت هذه المسألة؟

لي عدة كتب تهتم بهذه القضية، ومنها كتاب ‘‘مصدر القرآن’’، الذي لم أترك فيه شاردة ولا واردة مما اتُّهِم به الرسول في هذا المجال إلا وناقشتها بصراحة تامة؛ بدءا من اتهامه بالكذب ومرورا بصدور القرآن عن لاوعيه لا عن السماء أو بأنه (ع) كان مريضا بهذا المرض العصبي أو ذاك، أو أن القرآن يعكس أفكارا أو مشاعر بشرية، وانتهاءً إلى أنه مأخوذ من الكتب السابقة، وأنه لم يأت بجديد ليس عند الأمم الأخرى، وتتبعتُ كل الطرق التي سلكها هؤلاء المتَّهِمون بالتفصيل، فكانت كلها تنتهي إلى لا شيء. أما بالنسبة لأسلوب القرآن وهل يصح القول إنه هو أسلوب الرسول؛ فقد خصصتُ لهذا الموضوع كتابا آخر عنوانه ‘‘القرآن والحديث- مقارنة أسلوبية’’ يقع في 600 صفحة كلها إحصاءات ومقارنات وتحليلات نصوصية تخلو تماما من العبارات الإنشائية، وتدخل دائما في الصميم واقفة بتريث عند الموضوعات التي تناولها كل من القرآن المجيد والأحاديث النبوية الشريفة والمفردات وكذلك الصيغ الصرفية والتركيبات النحوية والصور البلاغية والأبنية الأسلوبية والفنية هنا وهناك مما لم يكتب فيه أحد من قَبْلُ طوال الأربعة عشر قرنا الماضية.

¤ المزيد من الأخبار:

» مدنّات إصلاح التعليم الديني في الجزائر

» «الكلمة» وحوار المذاهب

» منهج الخطاب الديني

» التأويل النسوي للقرآن

» مارتن لوثر بين أيقونة الإصلاح الديني وضحية الارتداد

» الوعي والوجود